

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤٨ / ١٩٩٨

الأحد ٢٩ تشرين الثاني

القديسين الشهيدين
بارامونس وفيلومانوس

اللحن الثامن
إنجيل السحر الثالث

الرسالة (أفسس ٤ : ١ - ٧)

الإنجيل (لوقا ١٨ : ١٨ - ٢٧)

+ القوانين الكنسية (تابع)

+ رسالتا القديس كيرلس أسقف الإسكندرية

نشأ القديس كيرلس منذ صباه إلى جانب خاله ثيوفيلوس بطريرك الإسكندرية (راجع عدد الأسبوع الماضي)، فتربى على يده فتربى على يده إلى جانب إقامته زمنياً يسيراً مع رهبان دير نظرية. بعد وفاة ثيوفيلوس عام ٤١٢ إنتخب كيرلس بطريركاً على الإسكندرية. وبما أن خاله كان على خلاف مع القديس يوحنا الذهبي الفم، وتأثر هو بخاله، ظهرت له العذراء مريم في الحلم وأمرته بأن يضع الذهبي الفم على لائحة الذكريات، ففعل. كان من أشهر المدافعين عن الإيمان القويم ضد نسطوريوس الذي أنكر لقب "والدة الإله". سنة ٤٢٦

دعا إلى مجمع مكاني عقد في الإسكندرية وأصدر إيسالاته ضد نسطوريوس، كما أنه أقنع الإمبراطور ثيودوسيوس بأن يدعو إلى عقد مجمع مسكوني فالتأم المجمع المسكوني الثالث في أفسس عام ٤٣١ وحضره أكثر من مئتين من آباء الكنيسة. وقد جرد هذا المجمع نسطوريوس من بطريركية القسطنطينية ودحض جميع معتقداته. توفي القديس كيرلس بسلام عام ٤٤٤. تعيد له الكنيسة المقدسة في ١٨ كانون الثاني و ٩ حزيران.

كتب عدة مؤلفات لاهوتية وعقدية منها رسالتان واحدة إلى دومنوس بطريرك إنطاكية يحثه فيها على النظر في دعوى الأسقف بطرس (الذي عُزلَ ظلماً من كرسيه ولم يُعطَ فرصة للدفاع عن نفسه كما جرّد من كل أمواله) عبر الدعوة إلى مجمع مكاني، وعدم السماح لمعارضيه بأن يكونوا القضاة، والأخرى إلى أساقفة ليبيا والمدن الخمس (الواقعة شمالي ليبيا) يدعو فيها هؤلاء إلى "اتخاذ العناية اللازمة كلما جاء أحد للسيامة، والتدقيق في الفحص عن سيرته وسلوكه وهل هو متزوج وكيف ومتى عقد زواجه"، كما يأمر " أن الموعوظين الذين فصلوا بسبب سقوطهم لا يجوز أن يعمّدوا إلا عند ساعة موتهم".

تُبنت هاتان الرسالتان في القانون الأول للمجمعين المسكونيين الرابع والسابع وفي القانون الثاني لمجمع ترولو.

+ رسالة القديس جناديوس بطريرك القسطنطينية

عاش جناديوس في القرن الخامس وكان كاهناً في القسطنطينية. بعدد وفاة بطريرك القسطنطينية أناتوليوس انتخب جناديوس خلفاً له عام ٤٥٨. شارك في أعمال المجمع المسكوني الرابع الذي عقد في خلقيدون عام ٤٥١ وأعلن إيمان الكنيسة حول طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية. من مآثره أنه عينَ مركيانوس إيكونومساً (مديرًا) وأمره أن يوزع ما يقَدَّم إلى الكنائس، وأنه لا يجوز للكنيسة الكبرى أن تستولي على كل شيء حسب ما جرت عليه العادة. كان لا يشرطن أحداً إلا بعد حفظه المزامير كلها، وكانت لديه موهبة شفاء المرضى. توفي عام ٤٧١ وله عدة مؤلفات.

كتب رسالة مع مجمع أساقفته إلى البابا في روما، عام ٤٥٩، ضد السيمونية، أي ضد دفع الأموال مقابل السيامة "لأن ربنا سام رسله بدون دراهم وبلا ثمن وهكذا نحن أيضاً يجب أن نقوم بسيامة الإكليريكين تحت رئاستنا، لأن الرب جعلنا في درجة الرسل خلفاً له". ذُكرت هذه الرسالة في المجمعين السادس والسابع.

+ القديس يوحنا الدمشقي

تعيد الكنيسة المقدسة في الرابع من كانون الأول لتذكّار أبينا البار يوحنا الدمشقي اللاهوتي. ولد منصور بن سرجون - وهو إسم القديس يوحنا الأصلي - حوالي سنة ٦٧٥ في دمشق عاصمة الأمويين آنذاك، وقد يكون من قبيلة بني تغلب العربية. كان والده يعمل في إدارة أموال الخلفاء الأمويين على عهد معاوية بن أبي سفيان وبقي في وظيفته أكثر من ثلاثين عاماً كان خلالها زعيم المسيحيين في دمشق.

عُرفت عائلة منصور - يوحنا - بحبها للعلم والثقافة، فأوكل والده أمر تعليمه مع شقيقه بالتبني قزما إلى راهب صقلّي يدعى قزما المنشئ (نعيد له في ١٢ تشرين الأول) كان قد اشتراه والده من القراصنة ثم حرّره وعهد إليه بتعليم أولاده. إكتسب يوحنا وأخوه من هذا الراهب الكثير من الفضائل، وأتقن يوحنا اللغة اليونانية، لغة الطبقة الراقية من كبار المتعلّمين. وبسبب صداقته مع يزيد بن معاوية تذوّق الشعر العربي وتعرّف إلى الديانة الإسلامية. بعد وفاة والده سرجون أخذ مكان أبيه في إدارة أعمال الدولة، بينما انتقل أخوه قزما للعيش في دير القديس سابا في فلسطين. بعدما تسلّم الخليفة عمر الثاني (٧١٧ - ٧٢٠) مقاليد الحكم أصدر أمراً منع بموجبه المسيحيين من تسلّم مناصب رفيعة في الدولة ما لم يُسلموا، فترك يوحنا الوظيفة مفضلاً للبقاء على إيمانه وانتقل إلى دير القديس سابا وعاش الحياة الرهبانية والنسكية. هناك تعمق في اللاهوت على يد البطريرك الأورشليمي يوحنا الرابع (٧٠٦ - ٧٣٤) الذي كان يطلبه لإلقاء المواعظ والخطب في أورشليم، واتخذ إسم يوحنا.

عندما قامت بدعة محاربة تكريم الأيقونات في القرن الثامن كان الإمبراطور لاون (٧١٧ - ٧٤١) من المناصرين لهذه البدعة، وقد انزعج كثيراً من كون الراهب يوحنا من المدافعين الكبار عن إكرام الأيقونة وقد وضع المؤلفات الكثيرة التي توضح أن السجود للأيقونة إنما هو مجرد تكريم للأشخاص التي تمثلها الأيقونات وليس عبادة للصور. عندها حاول لاون الإيقاع بيوحنا فأمر أحد الخطاطين أن يكتب رسالة، مزوراً خط يوحنا، يطلب فيها من الإمبراطور لاون أن يرسل جيشه إلى دمشق وهو يساعده على الخليفة هناك، ثم أرسل هذه الرسالة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز مع رسالة شخصية منه يشي فيها بيوحنا. فما كان من الخليفة إلا أن استدعى يوحنا وأمر بقطع يده اليمنى. حاول يوحنا أن يوضح للخليفة أن في الأمر تزويراً لكنه لم يفلح ونفّذ الحكم، فألحّ على الخليفة أن يعطيه يده المقطوعة لكي يدفنها، فأخذها وارتمى أمام أيقونة والدة الإله وصلّى بحرارة ونام. ظهرت له العذراء ليلاً قائلة: "ها إن يدك قد عوفيت الآن، فاجتهد أن تحقق ما وعدت به بدون تأخير". إستيقظ يوحنا ليجد يده صحيحة. إنذهل الخليفة عندما علم بالأمر وحاول إرجاعه إلى منصبه

لكنه فضل الذهاب إلى دير القديس سابا بعدما وزع كل أمواله على الفقراء والمعوزين وانصرف إلى عبادة الله وحده. يذكر أن الفن البيزنطي ترك لنا أيقونة العذراء ذات الأيدي الثلاث تذكراً للأعجوبة المذكورة أعلاه.

بعدما لاحظ رئيس الدير رجاية عقل يوحنا وبراعته في العلم أوكل أمره إلى راهب شيخ ليرشده إلى طريق الرب. طلب منه الشيخ أن يرفض المجد الفارغ وينسى علومه البشرية ولا يفتخر بها ولا يكتب أحداً ولا يتكلم مع أحد، وأن يلزم الصمت وأن لا يؤلف وأن لا يقدم على عمل دون موافقته وأن يتبع نصائحه. حفظ يوحنا إرشادات معلمه وطبقها بكل أمانة. حدث مرة أن معلمه أراد تجربته فأمره بالذهاب إلى دمشق لبيع القفف وذلك بضعف ثمنها المعتاد. أطاع وذهب إلى دمشق واحتمل سخرية الناس. رآه بعض خدمه القدماء فعرفوه ولم يعرفهم، إشتروا منه القفف وعاد إلى معلمه منتصراً على شيطان التكبر والعظمة.

وحدث مرة أن نظم ترنيمة نتيجة إلحاح أحد الرهبان المحزونين على فقد أخيه في الجسد، فعلم الشيخ وطرده. وبعدما توصل الرهبان إلى الشيخ لأجله، قال لهم: "أصفح عنه إذا نظف مراحيض الرهبان". وإذ علم يوحنا خسارته الروحية من جراء طرده أسرع ونظف كل المراحيض. فأيقن الشيخ أن يوحنا متعمق في فضيلة التواضع.

عندما أدرك الشيخ تواضع يوحنا ظهرت له العذراء في حلم تطلب منه أن يدع يوحنا يروي الكنيسة بأقواله وأنغامه الموسيقية، وأن يدعه يتاجر بوزناته. فابتدأ يوحنا يؤلف التراتيل والأناشيد الكنسية والطروباريات والقوانين، ووضع كتاب المعزي وهو كتاب الألحان الثمانية البيزنطية مع جميع التراتيل التي ترنل صباحاً ومساءً وأيام الآحاد. كما ساهم في وضع تيبكيون دير القديس سابا.

توفي القديس يوحنا الدمشقي سنة ٧٤٩ بعد أن قضى أكثر من ثلاثين عاماً في دير القديس سابا ناسكاً ومؤلفاً ومدافعاً عن الإيمان القويم. دفن هناك وبقي قبره معروفاً لغاية القرن الثاني عشر، بعدها نقلت عظامه إلى القسطنطينية. فبشفاعة قديسك يا رب احننا وخلصنا آمين.

+ من كتابات القديس يوحنا الدمشقي

+ البرهان على أن الله موجود

+ معظم الأمم تعترف بوجود الله.

ومن ثم لم يكن موضع شك أن يكون الله موجوداً، لا لدى الذين تسلّموا الكتب المقدسة - أفي العهد القديم كان ذلك أم في الجديد - ولا لدى معظم اليونانيين. فقد سبق وقلنا أن معرفة وجود

الله قد زُرعت فينا طبيعياً. ولكن لما تقوى شرّ إبليس على طبيعة البشر، حتى زجّ البعض في لجة الهلاك البهيمية، شرّ الشرور كلّها، ذلك بأن أنكروا وجود الله، وقد أوضح النبي القديس داود غباوتهم بقوله: " قال الجاهل في قلبه: ليس إله" (مز ١٣ : ١)، حينئذ قام تلاميذ الرب ورسله، ممثلين بحكمة الروح القدس، يعملون الآيات الإلهية بقوته ونعمته، فأخرجوا هؤلاء بشباك المعجزات، وأنقذوهم من عمق الجهل إلى نور المعرفة الإلهية. كذلك فعل أيضاً خلفاء هؤلاء في النعمة والاستحقاق، الرعاية والمعلّمون الذين نالوا نعمة الروح المنيرة. فقد أناروا بقوة المعجزات وكلمة النعمة أولئك الحاصلين في الظلام، وردّوا الضالّين. أما نحن الذين لم نتسلّم موهبة المعجزات ولا التعليم - لأننا باستسلامنا إلى الذات جعلنا أنفسنا غير مستحقّين - فهات نعرض القليل ممّا وصل إلينا من مديعي النعمة، مستدعين الآب والابن والروح القدس.

+ البرهان العقلي على وجود الله.

كل الكائنات مخلوقة أو غير مخلوقة. فإذا كانت مخلوقة فهي حتماً متحوّلة - لأن وجودها ابتدأ من تحويل - وهي خاضعة للتحويل، فهي في كلّ شيء عرضة إما للفساد وإما للتغيير في اختيارها. أمّا إذا كانت غير مخلوقة، فهي، - بحسب الاستنتاج المنطقي - غير متحوّلة البتة لأن كياناتها نفسها مختلف وكيفية التعبير عنها مختلفة أيضاً وأعني بذلك اختصاصاتها. فمن لا يسلم إذاً بأن جميع الكائنات التي تقع تحت حواسنا، بل حتى الملائكة، تتحوّل وتتغيّر وتتحرّك بحركات شتى: فالعاقلة منها - وهي الملائكة والأرواح والشياطين - فبحسب اختيارها، تتقدم في الخير أو تتباعد عنه، تميل إليه أو تترتّد عنه. أمّا الباقية، فذلك بحسب تكوينها وفسادها، إزديادها ونقصانها، تطوّراتها في خلقها وحركتها المكانية. وعليه فيما أنها متحوّلة، فهي حتماً مخلوقة، وبما أنها مخلوقة فهي حتماً صنع أحد. ويجب أن يكون صانعها غير مخلوق. أمّا إذا كان هذا مخلوقاً، فهو حتماً صنع أحد، ذلك إلى أن نبلغ إلى واحد غير مخلوق. إذاً لما كان الصانع غير مخلوق فهو حتماً غير متحوّل. ومن يكون هذا يا ترى سوى الله ؟

+ البرهان الثاني من حفظ الكائنات وسياستها.

وإن التثام الخليفة نفسه مع حفظها وسياستها يُعلّمنا هو أيضاً أن الله موجودٌ، وأنه هو المرتّب والمنسّق والحافظ هذا الكون كلّه والمعنتي به على الدوام. فكيف تقترن العناصر المتنافرة

بعضها ببعض - وهي النار والماء والهواء والتراب - كيف تكتمل إذاً لتكتميل عالم واحد، وتستمرّ غيرَ منحلّة، لو لم تكن هناك قوة قديرة تجمعها وتحفظها غير منحلّة ؟

+ البرهان الثالث من ترتيب الكون: العالم لم ينتظم ويتركز صدفة، ضد افيكوريين.

ما الذي نظّم ما هو في السماء وما هو على الأرض، كلّ ما هو في الهواء وكلّ ما هو في الماء؟ ما الذي خلطها ووزّعها؟ من دفع بها إلى الحركة وقاد انطلاقتها بلا هواده ولا حاجز ؟ هل هو إلا الذي أتقنها ووضع أمره فيها كلّها فيسير الكون بموجبه ويتدبّر ؟ ومن هو متقنها ؟ ليس الذي صنعها وأخرجها إلى الوجود ؟ فإننا لا ننسب قوةً مثل هذه إلى الصدفة، لأننا إذا افترضنا بأنها وُجدت صدفة، فما هو الذي نظّمها ؟ وإذا سلّمنا بهذا أيضاً - إذا أردتَ ذلك - لكن لمن ننسب الاعتناء بها وحفظها طبقاً للقواعد التي تأسست عليها في البدء ؟ إن ذلك هو حتماً غيرُ الصدفة. وماذا يكون سوى الله ؟

+ تأمل

أيها الإله الرحوم، آه كم هو عظيم حبك لي أنا الخاطيء !
أنت أعطيتني أن أعرفك، وأعطيتني أن أدوق نعمتك. "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب"
(مز ٣٣ : ٩). وأنت وهبتني ذوق صلاحك ورأفاتك، وبعطش لا يروى، تنشدّ روحي إليك
ليل نهار، ولا تستطيع أن تنسى خالقها، لأن الروح الإلهي يمنحها القوة لكي تحب من يحبّها،
وهي لا تستطيع أن تشفي غليلها، لكنها تشتاق أباها السماوي بدون هواده.
مغبوطة هي النفس المحبّة للإتضاع، والتي تكره "الأفكار" الشريرة.
ومغبوطة هي النفس المحبّة أخاها، لأن "أخانا" هو "حياتنا الحق".
ومغبوطة هي النفس المحبّة لأخيها، فهي تحسّ بداخلها حضرة الروح السيّد، وهو
يمنحها السلام والفرح، فتبكي العالم كلّه.

إن روحي تتذكر حبّ السيّد فيدفاً قلبي؛ ونفسي ارتحلت وغرقت في نوح عميق، لأنني
أحزنت الرب كثيراً جداً، أحزنت خالقي الحبيب، لكنّه تغاضى عن خطاياي، لذلك أسلمت
نفسي لنوح أعمق بكثير، حتى يترأف السيّد بكل نفس ويأخذها إلى ملكوته السماوي.
إن نفسي تبكي لأجل الجميع البشر.

لا أستطيع الصمت عن الشعب الذي أحب حتى الدمع، ولا أتمكن من الصمت، لأن
نفسي تتألم دوماً من أجل شعب الله، وبدموع كثيرة وغزيرة أصلي لأجله، ولا أستطيع يا
إخوتي إلا أن أخبركم عن رأفات الله وعن مكر "العدو" الشيطان واحتياله ومراوغته.

أربعون سنة مرّت مذ علّمتني نعمة الروح القدس محبة البشر وكل الخليقة، ولقد كشفت لي اللثام عن مكر العدو الذي ينجز ويتمّ أسوأه في هذا العالم بالخدعة. صدّقوني يا إخوتي، إني أكتب ما أكتب أمام وجه العلي الذي بعظيم تحنّنه أعلن ذاته لي، بروحه القدّوس. لكن النفس التي لا تذوق الروح القدس لا تعرف السيّد ولا حبّه. إن السيّد متعطف ورحوم، لكن إذا لم يتقّفنا الروح القدس فلن نملك القدرة على التحدث بحبّه، فنعتمد على الذي خطّ وكتب في الكتب المقدّسة. يا أخي أنت تضطرب إذا لم تحسّ بالحب الإلهي، لكن فكّر بالسيّد، فكر بأنه رحوم واحفظ نفسك من الخطيئة، والنعمة الإلهية سترشدك.

إن الحب غير محتكم بالزمن، وهو يحفظ قوته وأجيجه دوماً. يظن البعض أن السيّد تألم حباً بالبشر، ولكن إذا لا يجدون هذا الحب في نفوسهم، يظنون أن فعل الحب هذا قد مرّ في الأزمنة الغابرة. ولكن إذ تعرف النفس هذا الحب الإلهي بالروح القدس، تحسّ وتعرف بوضوح أن السيّد هو أب لنا، هو "أبونا" وخاصّتنا الأقرب من أقربائنا الحميمين.

ليس من غبطة أكبر وأعظم من حب الله، وحبّه من كل العقل والفكر والقلب والكيلن، كما أوصانا هو، وأيضاً حبّ القريب كالنفس. عندما يملأ حب كهذا النفس فإنه يفرحها فتتهلّل، ولكن إذ تفقده لا تعود تجد أي سلام، فتضطرب؛ إذ ذاك تتهم الآخرين بأنهم أغضبوها وتغفل بأنها هي المذنبة وأنها فقدت حبّ الله، إذ أنها دانّت أخاها أو كرهته.

إن النعمة تتأتى من حب القريب، وحبّنا للقريب، لأخيّننا، نحفظ هذه النعمة فينا؛ لكننا إذا أخللنا بحبّ الأخ، فإن النعمة الإلهية لا تحلّ في نفوسنا.

إذا حفظ البشر وصايا المسيح، فستسكن السماء على الأرض. وسيكون للجميع كل احتياجاتهم، وبجهد قليل. إن الروح الإلهي يحيا في نفوس البشر، لأنه هو ذاته يبحث عن النفوس ويتوق إلى السكنى فينا؛ وإذ لا يعود له مسكن عندنا، فذلك مردّه للكبرياء القاطنة في نفوسنا.

ازداد كبرياء البشر في زماننا، والجميع لن يخلصوا إلا بالآلام وبالتوبة، لكن القلّة القليلة سيكون بإمكانها أن تحبّ.

قال القديس أنطونيوس: "من الآن وصاعداً لن أخاف الله. لكنّي سأحبّه".

ولقد قال هذا القول لأن نفسه كانت ممثلة من نعمة عظيمة من الروح القدس، ومن الروح القدس عينه ينبثق هذا الحب. لهذا لا يعود بإمكان النفس إلا أن تتطق هكذا. لكن الأبله

يوصون الذين يفتقرون إلى هذه النعمة بالتوبة، والتوبة غير بعيدة عن الحب الذي يظهر ذاته ببساطة وبتواضع الروح.

إذا أحسنا الظن بأخيذا وعرفنا أن السيد يحبه، وخاصة إذا فكرنا بأن الروح القدس يسكن في نفسه، فإننا سنصبح قرييين من حب الله.

القديس سلوان الأثوسي